

# الْفَضْلُ الْحَاثِي عَشْرٌ

## البلاد الرئيسة وتنوعها

في أثناء الثورة الصناعية في القرن التاسع عشر، كانت لانكا شاير، في شمال شرقي إنجلترا، تعرف بـ «ورشة العالم». إذ كان عدد المكين التي تهدر فيها صباح مساء يفوق عدد المكين في العالم أجمع. واليوم، أنشئت ورشة أخرى في العالم غرب المحيط الباسيفيكي. تمتد عبر ساحل الصين الشرقي، من داليان في الشمال الشرقي، حتى بيجينق وتيانشين في الشمال، ثم إلى شانغهاي وسوزو في الجنوب، ثم تمتد بعيداً ناحية الجنوب حتى قوانقزو وشينزو عند الحدود مع هونغ كونغ.

قد لا يكون التحول التاريخي من نظام شيوعي معزول، إلى مصدر للألعاب والأحذية، ثم إلى مسبك لأرقى تقنية في العالم، واضحاً. فعندما تقود سيارتك عبر ناطحات السحاب التي تزين سماء منطقة بودونق الجديدة التي تتقاطع مع بوند في شانغهاي، سوف تشاهد المصانع الجديدة التي تنتصب شامخة على امتداد البصر. فتلك هي شركة (Intel) تصنع رقائقات مترفة. ثم إلى أسفل الشارع، غير بعيد عنها، تنتصب شركة (Corning) التي تنتج وحدات طاقة ضوئية متطورة وخزناً لتغطية المحولات الكهربائية. ثم هناك شركة (Mat-sushita) اليابانية التي تصنع شاشات العرض الحساسة. ثم شركة (Alca-tel) التي تنتج كل شيء في مستودعاتها - من أنظمة التحويل الرقمية إلى معدات المؤتمرات عبر الفيديو<sup>(\*)</sup>. كما نقلت الشركة فروعها الآسيوية -

(\*) مؤتمرات تواصلية تعقد بين أشخاص تباعد بينهم مسافات متباينة (عبر القارات مثلاً) لكن يرتبط بعضهم ببعض الآخر عن طريق شاشات تلفزيونية (المترجم).

الباسينفكية إلى شانغهاي أيضاً؛ لأنها لا تستطيع أن تفكر في أي شيء تعجز (Alcatel) عن عمله في الصين.

أما فيما يتعلق بالمنافسة الاقتصادية العالمية، فالأمر يعني ببساطة شديدة ضرورة امتلاك حضور صناعي رئيس في الصين؛ لأن منافسك موجود أساساً هناك. فالقدرة على عمل كل شيء تقريباً في الصين بجودة عالية، وبأسعار معقولة، ثم تسويقه إلى عملاء قريين وبعيدين على حد سواء، تركت آثاراً كبيرة في منظومات التعاون في كل ركن من أركان العالم.

يضاف إلى هذا كله، لقد وجدت الشركات المتعددة الجنسيات القوى العاملة الصينية ليست متوافرة ورخيصة فحسب، بل متعلمة ومؤدبة ومنظمة ومدربة أيضاً. فلبلاد معين لا ينضب من المواهب الشابة في مجال الأعمال والهندسة، تستطيع الشركات أن تنهل منه باستمرار. واليوم، صار مزيد من الطلاب الذين يدرسون في الخارج يعودون إلى بلادهم أكثر مما كان يحدث قبل عشر سنوات، ويشكل الطلاب الصينيين اليوم العدد الأكبر بين جميع الطلاب الأجانب الذين يتخرجون سنوياً في الهندسة والأنظمة العلمية في جامعات الولايات الأمريكية المتحدة. فعدد الطلاب الصينيين الذين يتخرجون في المدارس التجارية في أمريكا وأوروبا، هم الأكثر مقارنة بطلاب أي بلاد أخرى في المجال ذاته. فمع انغماس الاقتصاد الصيني في العولة، ازدادت الحاجة إلى مواهب أكثر كفاءة، مسلحة بخبرات ومهارات عالمية.

ومن اللافت للنظر حقاً، أن نجد الصين اليوم مقسمة إلى اقتصاد تنافسي يكمل بعضه بعضاً "الدول المتحاربة" تماماً كما كانت قبل ألفي عام مضت، قبل أن تتوحد في عهد سلالة كين (Qin) بين تلك "الدول المتحاربة" الاقتصادية الأربعة الفرعية التي ظهرت من شمال البلاد حتى جنوبها:

- المنطقة الصناعية المركزية القديمة شمال شرقي الصين، التي تمثل مع ساحل مدينة داليان، حلقة وصل بين ثلاث محافظات، هي: لياونق، جيليان وهيلونقشيانق.
- رواق بيجينق - تيانشين لتقنية المعلومات (IT) في شمال الصين.
- دلتا نهر يانقتيز التي تعرف بـ (منطقة شانغهاي الكبرى) مع سوزو التي تمثل مركزها الصناعي لتقنية المعلومات (IT).
- دلتا نهر بيرل، التي تضم هونغ كونغ، ماكاو، قوانقزو وشينزين، وتشكل مركز العالم لصناعة تقنية المعلومات (IT).

في حين حقق شمال شرقي الصين كل ذلك الزخم، فصار القطب الرابع للتطور الاقتصادي الصيني فعلاً، تحولت الثلاث مناطق الأخرى إلى مكائن حقيقية تدفع عجلة الناتج الوطني المحلي للأمام. فعلى الرغم من أن عدد سكانها يمثل (7.53%) فقط من إجمالي عدد سكان البلاد، ولا تزيد مساحتها على (1.24%) من مساحة البلاد، إلا أن هذه الأقاليم الثلاثة تسهم بـ (30%) من إجمالي الناتج الوطني المحلي، في حين يشكل الاستثمار الأجنبي (73%).

### شمال شرقي الصين.. المركز الصناعي القديم:

في الاقتصاد القديم المخطط، كان شمال شرقي الصين أكثر أجزاء البلاد تطوراً في الصناعة والتقنية. إذ كان يحتوي على قاعدة للصناعات البتروكيميائية<sup>(\*)</sup>، الفولاذ والصناعات الثقيلة، ويضم كثيراً من الشركات العامة. وكانت مقاطعة لياونق يومئذٍ أضخم مركز صناعي، بعد شانغهاي. ومع ذلك، ظل شمال شرقي الصين يمثل مصدراً مهماً لاقتصاد البلاد الفرعي على

(\*) البتروكيميائيات: مواد كيميائية تعزل أو تشق من النفط أو من الغاز الطبيعي، وتستخدم في صناعة اللدائن والخيوط الاصطناعية والمطاط الاصطناعي والأسمدة والمنظفات ومبيدات الحشرات (المترجم).

الرغم من تخلفه عن النمو الاقتصادي الحيوي للثلاثة اقتصاديات الفرعية الأخرى.

أما الثلاث مقاطعات التي يضمها شرقي الصين - لياوننق (41.2 مليون نسمة)، شيلين (26.1 مليون) وهيلونقشيانق (38.1 مليون) التي تمتد من الجنوب للشمال - كانت تاريخياً شديدة الاعتداد بنفسها لاندماجها في بوتقة واحدة ثقافياً، اقتصادياً، جغرافياً، بشرياً وسياسياً. وحقاً، لا يوجد على طول الصين وعرضها مكان تستطيع أن ترى فيه ذلك الرباط الوثيق والتكافل الصادق الذي يجمع بين مقاطعات مختلفة ومنفصلة عن بعضها بعضاً، كما يحدث في تلك المقاطعات الثلاث التي ترقد شمال شرقي الصين. وللحقيقة والتاريخ، يطلق الصينيون على المقاطعات الثلاث اسم (dongbei) إشارة إلى شمال شرقي الصين، أو (dong sansheng) أي المقاطعات الثلاث التي تقع شمال شرقي الصين، بدلاً من تسمية كل مقاطعة باسمها (وفي هذا دليل أكيد وحجة بالغة ترمز للوحدة والتكامل والاندماج والتكافل في كل شيء تقريباً).

مع إنعدام القدرة على التمييز بين هذه المقاطعات الثلاث، وانعدام الحدود بينها تقريباً، صارت كل واحدة تكمل الأخرى من خلال ملامح وتأثيرات مميزة. وفي الوقت ذاته، ارتبطت كل واحدة منها ارتباطاً اقتصادياً مباشراً مع جيرانها القريبين منها. وبشكل عام، صارت لمقاطعة لياوننق علاقات اقتصادية وثيقة مع اليابان، ومقاطعة شيلين مع كوريا الجنوبية، فيما ارتبطت مقاطعة هيلونقشين اقتصادياً مع روسيا.

وبكل تأكيد، يشكل شمال شرقي الصين بوتقة انصهار جغرافية، بشرية، سياسية، اقتصادية واجتماعية، تصهر كل شيء لتصبح أحد أهم موارد البلاد الاقتصادية الفرعية.

بخلاف بقية أجزاء البلاد الأخرى، يدرس كثير من طلاب المدارس الثانوية في الإقليم (الشمالي الشرقي) اللغة اليابانية أو اللغة الروسية كلفة أجنبية بدل اللغة الإنجليزية. كما أن اللغة الكورية تنتشر أيضاً على نطاق واسع وسط نحو مليوني كوري يقطنون ذلك الإقليم. أما اللهجة الصينية التي يتم تداولها هناك، فتشكل إحدى أكثر اللهجات شبهاً باللهجة المندرينية، مع اختلاف طفيف في النبرة التي تميز مواطني ذلك الإقليم.

### شمال شرقي الصين / مقاطعة لياوننغ واليابان :

يعود تأثير اليابان في شمال شرقي الصين إلى ثلاثينيات القرن الماضي، عندما طالب أباطرة اليابان بحقهم في مانشوكو (الدولة المنشورية) التي كانت أشبه بالأعوية في أيدي الآخرين من أي شيء آخر. حدث ذلك في عهد الإمبراطور بوي (Puyi) الذي كان الأعوية أيضاً، لا يملك أمر نفسه وليس له من الاستقلال غير اسمه. وفي ثمانينيات القرن الماضي، تبنت الصين سياسة الباب المفتوح والإصلاح الاقتصادي، فاستعاد الاقتصاد الياباني دوره المؤثر. وتعد اليابان اليوم أحد أهم الشركاء التجاريين للصين. إذ يوجد ثلث استثمارات الأولى في الأخيرة، حيث تتركز بشكل أساسي في منطقة داليان. وتمثل داليان هذه، التي هي مدينة ساحلية عند الطرف الجنوبي لشبه جزيرة لياودنغ في مقاطعة لياوننغ، ميناء الدخول لشمال شرقي الصين. وتعد إحدى أضخم الموانئ وأكثرها حركة، إذ ينقل عبرها (60) مليون طن من البضائع سنوياً. ومن المثير للاهتمام هنا، أن هذا الميناء يشتمل على نظام إدارة شبيه بالنظام السنغافوري في إدارة الموانئ وسط عدد من شركات الاستثمار اليابانية. انظر الفصل الرابع عشر من هذا الكتاب لتفاصيل أوفى حول هذا الموضوع.

وفي حين ابتليت الأجزاء الأخرى من الإقليم الشمالي الشرقي، مثل شينيانغ، عاصمة مقاطعة لياوننغ بإفلاس شركات القطاع العام العاملة في

مجال الصناعات التقليدية الثقيلة التي بنيت على أساس النظام الاقتصادي المركزي القديم، في هذه الظروف، نجد أن مدينة داليان تقف شامخة كواحدة من أهم رموز الاقتصاد العالمي في الصين. ومن المدهش حقاً أن تحل داليان في المرتبة الرابعة في قائمة أفضل المدن التجارية الصينية لعام 2005م، التي صدرت عن (Forbes) (الطبعة الصينية) إذ تقدمت حتى على بيجينغ التي حلت في المرتبة الخامسة، وقد احتلت هانغزو المرتبة الأولى، تلتها ووكسي ثم شانغهاي في المرتبة الثالثة.

بعدد سكانها الذي يبلغ (5.5) مليون نسمة، ارتفع مستوى مساهمتها في الناتج الوطني القومي عام 2004 م، لنحو (12.5) بليون دولار أمريكي، ساهمت فيه (800) شركة من الشركات المتخصصة في التقنية العالية الجودة بأكثر من النصف. وتعد المدينة الأكثر نمواً اقتصادياً في خليج بوهاي. وينتظر أن تصبح قريباً مركزاً استراتيجياً لبرامج الحاسوب في كل شمال شرقي آسيا حسبما ترى (Forbes).

ربما يعزى تطور مدينة داليان من ميناء صناعي قديم، متخلف وقذر، إلى إحدى أكثر العواصم الإقليمية جمالاً وازدهاراً، إلى حد كبير لعمدتها بو شيلي (Bo Xilai). لقد بذل هذا العمدة صاحب النظرة البعيدة والشخصية الفاتنة المؤثرة، ابن المحارب القديم، قائد الحزب الشيوعي الثوري، بويبو (Bo Yibo) كل ما في وسعه ليرتقي بمدينة داليان إلى مصاف بقية مدن البلاد ومدن العالم المتطورة الأخرى خلال مدة ولايته التي لم تزد على ثماني سنوات. فنجح في تحويل المدينة إلى أفضل مدينة في الصين، تتمتع ببيئة نظيفة، أفضل مناخ استثماري وأعلى مستوى معيشة في سائر البلاد.

لقد صرح العمدة بو (Bo) الذي رقي فيما بعد إلى حاكم مقاطعة لياونينغ، ويشغل اليوم منصب وزير التجارة، قائلاً: ”تشكل داليان مع شانغهاي إحدى أهم دعائم الاقتصاد في الصين<sup>(1)</sup>“. ولهذا فلا غرو إذا شهدت الاجتماع

السنوي الخامس لوزراء الاقتصاد في الدول الآسيوية والأوروبية في يوليو من عام 2003م.

لقد وصفها كينيشي أوهماي (Kenichi Ohmae) بوصفها مدينة ذات بيئة جميلة، مبانٍ رائعة وشوارع نظيفة، تمامًا كتلك المدن الفرنسية الرائعة التي ظهرت قبل عصر السيارات، تفخر بتقنياتها العالية، إذ تضم ثلاثة معاهد وطنية للتنمية التقنية وأكثر من عشر جامعات ومعاهد أبحاث. وقد زاد عدد الشركات الأجنبية فيها مؤخرًا على (12.000) شركة، بينها أكثر من (4.000) شركة يابانية<sup>(2)</sup>. ويزيد عدد الاستثمارات الأجنبية فيها على نصف إجمالي الاستثمارات الأجنبية في مقاطعة لياونتنق كلها.

بسبب قرب مقاطعة لياونتنق من اليابان، إذ لا تستغرق الرحلة بينهما أكثر من أربع ساعات طيران فقط، وانتشار اللغة اليابانية بين عدد كبير من سكانها - يقدر عدد الذين يتحدثون اللغة اليابانية فيها بطلاقة بأكثر من (70.000) نسمة - بسبب هذا كله، ليس غريبًا أن يفد المستثمرون اليابانيون إلى مدينة داليان زرافات ووحيدانًا. ولهذا شبه بعض مديري الشركات اليابانية أن داليان لليابان، تمامًا كمدينة مكسيكو للولايات الأمريكية المتحدة: "منطقة صناعية رخيصة قرب المكتب الرئيس".

قد عزوا اتخاذهم قرار الاستثمار في داليان لجودة قوتها العاملة، انخفاض أسعار العقارات وانخفاض أجور العمال. ونتيجة لهذا، يعمل أكثر من (100.000) عامل مؤهل ومدرب على مستوى عالٍ في شركات التقنية اليابانية في داليان حيث يعيشون. كما اتخذ منها آلاف المديرين اليابانيين سكنًا لهم. وتشمل الشركات اليابانية الرئيسة التي تشغل العمالة الصينية في داليان أسماءً كبيرة مشهورة مثل (Marubeni)، (Toshiba)، (Matsushita)، (Canon)، (Mabuchi Motor).

على صعيد آخر، لا يشك في أنه يصعب على العمالة اليابانية المكلفة التغلب على الإنتاجية الصينية، الأمر الذي شكل عقبة أساسية أمام المحافظة على علاقات تعاونية تنافسية وتحسينها. وهنا يأتي دور انتشار اللغة اليابانية وسط سكان داليان ومقاطعة لياوننق والروابط الثقافية بين الجانبين، في تحفيز الشركات اليابانية لحل المشكلة. وقد أثبتت بعض الإجراءات التي اتخذت في داليان، كالاهتمام باللغة اليابانية وتطوير الإدارة وخدمات الهاتف، نجاحاً باهراً في تدفق العمالة إليها.

بسبب روابطها الوثيقة مع اليابان، ينتظر لمقاطعة لياوننق، خاصة عاصمتها داليان، أن تصير القوة الحقيقية التي تقود الصين في مجالي التسويق والبيع مع اليابان، التي تعد ثاني أضخم سوق في العالم.

### شركة داليان للنقل البحري:

في عام 1989م، صنفت الحكومة الصينية داليان بوصفها واحدة من بين الموانئ الأربعة العالمية الأعمق مياهاً. لها دور كبير جداً في الاستثمار الاقتصادي الياباني وتديره سنغافورة التي اكتسبت شهرة واسعة بوصفها واحدة من أفضل دول العالم التي تدرك فن إدارة الموانئ بفعالية رائعة. وبسبب تزويده بخبراء سنغافوريين ومعلومات وأدوات تقنية على قدر عالٍ من الكفاءة، تفوق ميناء داليان اليوم على ميناء اليابان من حيث الإدارة وحركة النقل.

أسست المدينة في يوليو من عام 1996م، شركة متحدة بين شركتي داليان للنقل البحري المحدودة (DCT) وشركة الخدمات العامة (PSA) المحدودة السنغافورية برأس مال قدره خمسمائة مليون دولار أمريكي. وفي عام 1997م، أخذت شركة (DCT) من شركة (PSA) نظام عمليات النقل الموحد، فغدت أفضل شركة نقل على مستوى الصين كلها. وفي عام 2000م، أطلقت شركة

(PSA) خدمات نقل بحرية إلكترونية، مبرمجة على نظام الحاسوب أكثر تطوراً تقنياً من تلك التي توجد في اليابان، فتخلصت شركة (DCT) من الرتبة المملة للنقل والإدارة التي لم تعد تستغرق أكثر من ثلاثين دقيقة فقط.

وكأفضل بوابة لشمال شرقي الصين للعالم اليوم، تشتمل على خمسة مراسلٍ للسفن - كل واحد بطول (1.459) متراً وعمق (14) متراً - تستطيع شركة (DCT) استيعاب الجيلين الرابع والخامس من سفن الشحن بسعة تزيد (1.5) مليون وحدة مكافئة.

تمتلك شركة (DCT) اليوم أكثر من أربعين خط خدمة عالمي تغطي اليابان، كوريا، هونغ كونغ، تايوان، جنوب شرق آسيا، الشرق الأوسط، البحر الأحمر، البحر الأبيض المتوسط، أوروبا وسواحل الولايات الأمريكية المتحدة الشرقية والغربية. ويربطها بالعالم أكثر من (170) خط اتصال بها يومياً طلباً لخدماتها. كما يتصل بها أكثر من (40) خط شحن أنشأت فروعاً لها في داليان.

### صناعة أنظمة الحاسوب في داليان:

بعد أن عملت المدينة على تغطية أكثر من (40%) من مساحتها بالنباتات والأعشاب والأشجار، حولت داليان نفسها اليوم من مدينة شديدة التلوث بسبب كونها قاعدة للصناعات الثقيلة، إلى مدينة خضراء. وقد ساهم تطور صناعة أنظمة الحاسوب في هذا التغير المثير بشكل كبير. فقد استثمرت شركة داليان للتقنية المتطورة (40) مليون دولار أمريكي في تطوير أنظمة الحاسوب، قدمتها شركات يابانية وأخرى كورية جنوبية. ومنذ إنشائها عام 1998م، ضمت شركة داليان لأنظمة الحاسوب، التي تعد واحدة من إحدى عشرة شركة عامة أعلنتها الصين تمثل قاعدة أساسية لصناعة أنظمة الحاسوب، ضمت (140) شركة، (32%) منها مموله أجنبياً. وقد حققت عام 2002م، (96) مليون دولار أمريكي بالإضافة إلى (25) مليون دولار من أرباح الصادرات.

بسبب موقعها الإستراتيجي قرب كثير من الجامعات ومعاهد الأبحاث، صارت شركة داليان لأنظمة الحاسوب مغناطيسًا لجذب كل النشاطات الخاصة بتطوير أنظمة الحاسوب، تمويل الأعمال التجارية وتطوير خدمات تقنية المعلومات. وقد أنشأت اليوم ست عشرة شركة عالمية تتكون من اتحاد (500) شركة، تشمل: ( )، ( NEC )، ( SAP )، ( Dell )، ( HP )، ( GE )، ( IBM )، ( Toshiba )، ( Sony )، ( Matsushita ) و ( Accenture )، مراكز لها في داليان للعمل في شمال آسيا والعالم.

تهدف الشركة إلى أن تكون أكبر مصدر لأنظمة الحاسوب في الصين، ولتوفير التدريب على الحاسوب، تعاقدت شركة داليان لأنظمة الحاسوب، بتشجيع من الحكومة الصينية، عام 2004 م، مع شركة ( IBM ) لتطوير حلول عملية لتنمية القوى البشرية العاملة. ويهدف برنامج التدريب الذي ابتكرته شركة ( IBM ) للخدمات العالمية وتشرف عليه، لتأهيل بين ( 1.600 ) إلى ( 5.000 ) عامل بحلول عام 2010 م، وساعتئذٍ تسلم ( IBM ) إدارة البرنامج لشركة داليان لأنظمة الحاسوب.

### اقتصاد خليج بوهي:

تشكل داليان ولياوننق جزءًا من اقتصاد خليج بوهي الهائل، الذي يضم أجزاء من مقاطعات لياوننق، شاندونق، هيبي، شانكس، إقليم منغوليا الداخلي المستقل ومدينتي بيجينق وتيانشين الضخمتين. يقطنه ( 240 ) مليون نسمة - ( 20% ) من إجمالي سكان الصين - تشكل مساحته ( 12% ) من مساحة الصين. يشكل اقتصاده ( 25% ) من إجمالي اقتصاد البلاد وتجارها الخارجية. يبلغ طول ساحله ( 5.800 ) كيلومترًا، تتجمع حوله نحو عشرين مدينة أساسية، ويضم أربعة موانئ بحرية ضخمة - داليان، تيانشين، كنفداو وكنهوانقداو.

كما يضم أكثر من ستين ميناءً أخرى من مختلف الأحجام، اختيرت أربعة منها ليتم تطويرها لتصير موانئ عالمية حديثة - ينقوا، شنكسي، هوانقوها وتانقشان.

يمكن تشبيه منطقة خليج بوهي ببحر البلطيق في أوروبا، إذ يوفر مدخلاً إستراتيجياً يطل على المحيط الباسيفيكي لكل شمالي الصين، ويشكل مركز اقتصاد منطقة شمال شرقي آسيا. وقد جذبت دلتا نهر يانفتيز ودلتا نهر بيرل اهتمام العالم كله بسبب سرعة نمو اقتصادهما المدهشة. ولا بد للإنسان أن يتساءل مندهشاً: «إذن، ماذا يحدث في دلتا (النهر الأم) الأكثر إهماً في الصين - النهر الأصفر؟». وقد احتل اقتصاد خليج بوهي المرتبة الثالثة بعد اقتصاد الدلتتين الآخرين في الجنوب، مشكلاً دعامة اقتصادية ثالثة في تطور الاقتصاد الصيني وماكينه تدفع عجلة اقتصاد شمال الصين. وتحتوي تربته على (40%) من احتياطي البلاد في الفحم، النفط والحديد. ويسهم الإقليم بـ (40%) من حركة كل سفن الشحن التي تبحر إلى خارج الصين.

في عام 2002م، اكتشفت شركة تيكساكو الصينية، التابعة لشركة شيفرون تيكساكو الأمريكية حقل نفط في خليج بوهي. على بعد (150) كيلومتراً جنوب شرق ميناء تيانشين، تبلغ مساحته (218) كيلومتراً مربعاً، ويعد أضخم حقول النفط فيه، إذ يقدر احتياطه من النفط والغاز بـ (210) ملايين متر مكعب. وقد توصلت شركة الزيت الصينية (CNOOC) التي تعد ثالث أضخم شركة زيت في العالم، لاتفاق يقضي بتطوير هذا الحقل بالاشتراك مع شركة تيكساكو. وتعد تلك المرة الأولى التي تضطلع فيها شركة الزيت الصينية بتطوير حقل نفط تكتشفه شركة أجنبية عملاقة.

هكذا نجد التكامل الاقتصادي يسير بخطى حثيثة في خليج بوهي. فمنذ أن تأسس اتحاد اقتصاد خليج بوهي عام 1992 م، لأول مرة من اتحاد (29)

مدينة، توصلت تلك المدن الأعضاء لاتفاقيات تكاملية لتنفيذ أكثر من (1.400) مشروع اقتصادي بتكلفة إجمالية قدرت بأربعة ملايين دولار أمريكي. ووضع نظام إدارة واحد للتحكم في حركة المطارات، الموانئ والتعرفة الجمركية في ميناء بيجينغ وميناء تيانشين اللذين يعدان من أهم الموانئ في الخليج، بحيث يعملان كجزأين يكملان بعضهما بعضاً كميناء واحد. وسوف يكتمل العمل قريباً في سكة الحديد التي تربط مختلف المدن الرئيسية التي تحيط بخليج بوهاي، ببعضها، لترتبط بذلك مع ثلثي المشروع الذي أنجز عام 2003م. ويبدأ هذا الشريان الحيوي عند شانهيوان في مقاطعة لياوننغ في الشمال - الذي كان يشكل سابقاً نهاية سور الصين العظيم عبر شمال الصين على طول (4.500) ميل - وينتهي عند يانتي في مقاطعة شاندونق.

### شمال شرقي الصين وكوريا :

تتشارك مقاطعة لياوننغ في حدودها مع كوريا الشمالية. فقد كانت تمثل تاريخياً بوابة الدخول إلى شبه الجزيرة الكورية. ولهذا، هنالك تأثير كوري شديد على شمال شرقي الصين بالإضافة للتأثيرين الياباني والروسي.

من جهة أخرى، تشكل الصين موطناً لأكثر من مليوني أقلية كورية، وفدوا إليها مهاجرين خلال مئات السنوات الأخيرة وقبلها. يعيش (97%) منهم في مقاطعات شمال شرقي الصين الثلاث، حيث يعيش أكثر من (60%) في مقاطعة شيلين وحدها. وفي مقاطعة شيلين هذه يعيش نحو (70%) من السكان في ولاية يانبيان الكورية التي تتمتع بحكم ذاتي. وهنالك نحو (500) ألف و(230) ألف أقلية كورية تعيش في مقاطعتي هيلونقشيانق ولياوننغ على التوالي.

في عام 2002م، صارت الصين أكبر دولة جاذبة للاستثمارات الكورية الجنوبية، إذ بلغ إجمالي استثمارات الأخيرة في الأولى (2.7) بليون دولار

أمريكي مسجلة زيادة قدرها (26.4%) عن العام السابق. بالطبع، زاد حجم التبادل التجاري بين الصين وكوريا الجنوبية بمعدل (800%) خلال العشر سنوات الأخيرة، وبسبب الروابط الثقافية التقليدية واللغوية بين كوريا والأقلية الكورية التي تعيش في شمال شرقي الصين، تتركز معظم استثمارات كوريا الجنوبية في الصين في الجزء الشمالي الغربي.

ولجذب مزيد من استثمارات كوريا الجنوبية، ذهبت عاصمة مقاطعة لياوننق (شينيانق) بعيداً لتحرص على حضور فعاليات الأسبوع الكوري السنوي. لقد استثمرت كوريا الجنوبية في شينيانق لأول مرة عام 1989م، قبل أن تقيم بيجينق علاقات دبلوماسية رسمية مع سيئول بثلاث سنوات. أما اليوم، فقد تجاوز عدد الشركات الاستثمارية الكورية الجنوبية في شينيانق الألف ومائة شركة، إجمالي استثماراتها (660) مليون دولار أمريكي، مُشكِّلةً بذلك نحو (10%) من جملة الاستثمارات الأجنبية المباشرة فيها. وهكذا، حلت كوريا الجنوبية في المرتبة الثالثة بين (78) دولة تستثمر في شينيانق. وبين كل الشركات الكورية الجنوبية التي تستثمر في شينيانق، هنالك (46) شركة زاد عدد استثمارات كل منها على خمسة ملايين دولار أمريكي. أما عدد الكوريين الجنوبيين الذين يعيشون اليوم في شينيانق، فقد زاد على (10) آلاف مواطن. وقد أظهر استطلاع للرأي أجري في شهر يناير من عام 2003م، أن أكثر من (60%) من بين الثمانين ألف شركة من الشركات الصغيرة والمتوسطة في كوريا الجنوبية، تتمنى نقل استثماراتها من كوريا الجنوبية إلى الصين. وينتظر أن تحظى لياوننق بنصيب معتبر من تلك الاستثمارات.

### مقاطعة شيلين ومثلث شمال شرقي آسيا الذهبي:

في مطلع تسعينيات القرن الماضي، أطلقت كل من الصين، روسيا، كوريا الجنوبية ومنغوليا مبادرة طموحة لتطوير إقليم نهر تومين، الذي قيل إنه

سوف يكون آخر مشروع اقتصادي عند حدود قارة آسيا. وقد كسب المشروع دعم برنامج الأمم المتحدة للإنماء على الرغم من حقيقة تأثير الإمكانات الاقتصادية للإقليم بالوضع السياسي الإقليمي الذي ظل غير واضح. ويتكون إقليم نهر تومين من أربع مناطق:

- ولاية يانبيان الكورية التي تتمتع بحكم ذاتي (الصين).
- منطقة راشين - سونبونق الاقتصادية والتجارية (DPRK).
- شرقي منغوليا.
- منطقة بريمورسكي (روسيا الاتحادية).

#### مقاطعة هيلونقشيانق وروسيا :

تتشارك الصين مع روسيا في حدود تبلغ (4.600) ميل، ومن بين المقاطعات المجاورة لروسيا، تتمتع هيلونقشيانق بمعظم تلك الحدود المشتركة مع الجانب الروسي، تشمل حدود نهري هيلونقشيانق، ويسيليشيانق اللذين يجريان في شماليها وشرقيها على التوالي. وتعني لفظة هيلونقشيانق: نهر التين الأسود، إشارة لنهر أمور في روسيا.

#### هاربن.. موسكو الشرق الأقصى الصغيرة :

تمثل هاربن، عاصمة مقاطعة هيلونقشيانق عند أقصى شمالي الصين، بوابة تاريخية مهمة من الصين إلى روسيا وأوروبا، وقد تدهش ملامحها الروسية كل من يفد إليها زائراً. وقد ظلت «عاصمة الثلج والجليد» هذه، المدينة الصينية الرئيسة الأكثر قرباً للقطب الشمالي، تعكس التأثير الروسي الذي شمل حتى التراث وعادات الطهي. إذ نجد أن الطعام الرئيس في هيلونقشيانق هو خليط من الزلاية والخبز والنقانق على الطريقة الروسية. ويشبه سكان هاربن أهل روسيا، إذ يعدون أكثر أفراد الشعب الصيني إدماناً على شرب

الفودكا والبيشيو<sup>(\*)</sup>. كما ورثوا عنهم أيضاً حبهم للبوطة التي عشقوها منذ عهد بعيد جداً، قبل أن تشيع كوجبة خفيفة في سائر أجزاء الصين الأخرى في مطلع ثمانينات القرن الماضي.

يلاحظ أن كل صيني تصادفه في الطريق، يتحدث اللغة الروسية بطلاقة، أو يدرك قواعدها الأساسية التي تمكنه من التواصل بها على أقل تقدير. وتعرف مدينة هاربن هذه بـ «موسكو الشرق الأقصى الصغيرة»، ويتجلى التأثير الروسي في هاربن، إذ يشكل وجوداً روسياً هائلاً ومتصلاً بوضوح في شوارع منطقة داولي - التي كانت تمثل قلب مدينة روسية قديمة تعرف بـ «برستان». حيث يوجد متحف مفتوح للفن المعماري الروسي قبل الحرب، يشمل كل أساليب المعمار الأوروبي، ولا سيما الطراز الباروكي<sup>(\*\*)</sup> المحدث، الطراز الكلاسيكي والفن الزخري<sup>(\*\*\*)</sup>.

بفضل ما حققته الصين من ثروة مؤخراً، فقد تمت المحافظة على هذه المباني وصيانتها بشكل أفضل من نظيراتها في أقصى شرق روسيا.

من بين العديد من الكنائس الأرثوذكسية والأسلوب الروسي في زخرفة الواجهات في هذه المنطقة، تنتصب كنيسة أياصوفيا الأرثوذكسية التي بنيت على الطراز البيزنطي واكتملت عام 1907م، على أيدي الروس، كأضخم كنيسة

(\*) الفودكا: شراب روسي مسكر. أما البيشيو فشراب صيني مسكر شبيه بالفودكا الروسية (المترجم).  
 (\*\*\*) الطراز الباروكي: أسلوب في التعبير الفني، ازدهر في أوروبا من عام 1600 حتى عام 1750م، يتميز بدقة الزخرفة واتساقها، وأحياناً بغرابتها، وباصطناع الأشكال المنحنية في فن العمارة، وبالحيوية والحركية في الرسم، وبالتعقيد والصور الغريبة الغامضة في الأدب، وبالصرامة ودقة التوازن بين مختلف العناصر في الموسيقى. وهو ينسب للرسام الإيطالي فيديريكو باروتشي (1528 - 1612م).

(\*\*\*) أما الفن الزخري: أسلوب حديث في فن العمارة وفي الفنون الزخرفية، اكتسب اسمه من «المعرض الدولي للفنون الزخرفية والصناعية الحديثة» الذي أقيم في باريس عام 1925م، من مزايه: اعتماد الخطوط المستقيمة واستخدام مواد جديدة كاللدائن والحجارة الكريمة (المترجم).

أرثوذكسية في الشرق الأقصى. فتحت الشمس الساطعة قد تذكر الكنيسة والساحة المحيطة بها، الناس بشكل مدهش بالساحة الحمراء في موسكو. ولا تزال هنالك مئات الأزهار من الديانة الروسية الأرثوذكسية في هاربن، كدليل إضافي على التأثير الروسي في المدينة. وينتظر أن يزداد العدد في ظل انفتاح الصين المتصاعد.

يشاطر أهل شمال شرقي الصين، الروس حماسهم وعشقهم لرياضتي التزلج على الجليد وركوب الثلج اللتين لا تزالان تعدان أنواع رياضة غريبة ودخيلة في بقية أنحاء البلاد. وبفضل منتجع يابولي الأكبر والأفضل في كل البلاد - الذي كان موطنًا ملكيًا للصيد في أثناء حكم سلالة كينغ، الواقع على بعد (194) كيلومترًا إلى الشرق من هاربن، بفضل منتجعها هذا، استضافت مقاطعة هيلونقشيان دورة الألعاب الشتوية الآسيوية لعام 1996م، مما حدا بها للتطلع لاستضافة دورة الألعاب الأولمبية الشتوية عام 2010م - ولن ينافسها في هذا غير فانكوفر وكندا.

من أجل تطوير صناعة السياحة المحلية وتعزيز مهرجانات النحت على الثلج ومنتجعات التزلج على الجليد، صممت هيلونقشيان شعارًا مناسبًا لترويج صورتها العالمية - «مقاطعة الصين الباردة».

### التوجس الروسي من التوسع الصيني؛

نتيجة لحملات التوسع الإمبراطوري في الشرق الأقصى في القرن التاسع عشر الميلادي، استولت روسيا على الحدود الصينية إلى الشرق من نهر وسولي، التي تشكل اليوم الحدود الروسية - الصينية المشتركة، فحزمت بذلك مقاطعتي هيلونقشيانق وشيلين من الوصول إلى البحر. والآن انعكس الوضع التاريخي تمامًا. إذ يخشى الروس اليوم أن يؤدي الاختراق الصيني إلى إلحاق

حدودهم عند أقصى الشرق بالصين. فهم يرون أن الصين تتوسع بطريقة منظمة في الحدود الروسية عند أقصى الشرق من خلال نشاطاتها التجارية، تصدير العمالة الرخيصة والاختراق الديموغرافي (على الصعيدين، الهجرة القانونية وغير القانونية).

### التعاون الصيني - الروسي في مجال الطاقة :

في عام 1993م، صارت الصين مستوردًا أساسيًا للنفط. وبحلول عام 2002م، تفوقت اليابان في هذا المجال لتصير ثاني أكبر مستورد للنفط في العالم، بعد أن بلغ استيرادها (70) مليون طن في العام، لتحل بذلك في المرتبة الثانية بعد الولايات الأمريكية المتحدة تمامًا. ويعتقد مكتب الطاقة العالمي الذي يتخذ من باريس مقرًا له، أن نصيب الصين من النفط المستورد في العالم سوف يزداد من (34%) عام 2002م، إلى (80%) بحلول عام 2030م. ساعتهذ، سوف تقترب كمية النفط التي تستوردها الصين من العشرة ملايين برميل يوميًا، فتصبح مساوية تمامًا لاستيراد الولايات الأمريكية المتحدة في أثناء عام 2000م.

من جهة أخرى، على الرغم من تلك المخاوف المتبادلة والحذر والتوجس بين هذين العملاقين القابعين عند أقصى الشرق، إلا أن الصين وروسيا تريان أنه لا بد من التعاون، ولا سيما في مجال النفط، الذي يدعمه الاحتياطي الهائل في سيبيريا، وتعطش الصين الدائم للطاقة لتلبية حاجة اقتصادها المتصاعد. كانت مدينة داكنق بمقاطعة هيلونتشيان تعد في السابق عاصمة النفط الصينية، غير أن معيها سرعان ما نضب بعد أربعين سنة من الاستغلال. ولهذا، زاد تصدير النفط الروسي عام 2006م، بمعدل (150%) عما كان عليه عام 2005م، أي من عشرة ملايين طن إلى خمسة عشر مليون طن.

لا شك في أن معدل تصدير النفط الروسي إلى الصين سوف يتصاعد في المستقبل. ففي عام 2006م، وافق الرئيس الروسي فلاديمير بوتين (-Vladi

أخيراً على مشروع خط أنابيب النفط الذي يمتد من سيبيريا إلى داكنق، بعد اثنتي عشرة سنة من المحادثات الشاقة المتواصلة حول المشروع بين الشعبين. وتعد تلك الأنابيب بمنزلة خط فرعي يمتد داخل الأراضي الصينية من الخط الروسي الرئيس. قد وافق الطرفان بشكل أساس على نقل النفط الروسي من شرق سيبيريا إلى داكنق، بحيث يكون ثلث الخط داخل الحدود الصينية، لكن ظهور اليابان في المعادلة أدى إلى تغيير الخطط. وبحلول نهاية عام 2002م، صرفت روسيا النظر عن هذا الخط، حسبما يقال، لتقرر بناء خط أنابيب جديد ينتهي عند ميناء مدينة ناخودكا في بحر اليابان. ويعمل الخط الحالي كتسوية للمشكلة بحيث دمج الخطان - خط الصين وخط اليابان - في خط واحد، مع إعطاء الأولوية لبناء خط الصين. وقد قدرت تكلفة المشروع الذي يبلغ طوله (4.130) كيلومتراً بين (11) و(16) بليون دولار أمريكي. أما سعته الاستيعابية السنوية، فيتوقع لها أن تبلغ (80) مليون طنًا من النفط. وسوف تبلغ مشتريات الصين (5.13) بليون برميل من النفط الروسي بتكلفة (150) مليون دولار أمريكي في الفترة بين عامي 2005 و2030م، يتم نقلها عبر أنابيب النقل. وتعني هذه الصفقة أن الحكومة الروسية ربما تؤجل المشروع الياباني المنافس، على الرغم من سعي طوكيو الحثيث لسحب النفط عن طريق خطها. وصرح الكرملين أن بناء خط اليابان، الذي يبلغ طوله (3.800) كيلومتر، ويمتد من سيبيريا إلى ميناء ناخودكا في بحر اليابان، سوف يتم فقط في حال اكتشاف مزيد من الاحتياطي النفطي وتلبية حاجة السوق الصيني.

عندما وصلت المفاوضات اليابانية - الروسية إلى طريق مسدود، حققت الصين اختراقاً لعمل خط أنابيب نفط مع جارتها الغربية (كازاخستان) الغنية بالنفط، التي كانت في السابق إحدى الجمهوريات التابعة للاتحاد السوفيتي. فاكتملت المرحلة الأولى من الخط الذي يبلغ طوله (960) كيلومتراً ويربط كازاخستان بمقاطعة شينشيانق في شمالي غربي الصين عام 2005م، وينتظر

أن تبلغ سعتها الاستيعابية التي تتقلها من النفط عشرة ملايين طنًا سنويًا. ويتوقع أن تكتمل المرحلة الثانية عام 2010م، لترتفع السعة الاستيعابية بذلك إلى (20) مليون طن في السنة.

### التعاون الروسي - الصيني الاقتصادي التجاري:

سجل حجم التبادل التجاري بين الصين وروسيا عام 2005 م، (29.1) بليون دولار أمريكي بزيادة (37.1%) عن السابق. وهكذا أصبحت الصين اليوم رابع شريك تجاري لروسيا، في حين احتلت روسيا المرتبة الثامنة بين قائمة أكبر شركاء الصين التجاريين.

تمثل الملابس الجاهزة والأحذية، معظم الصادرات الصينية للأسواق الروسية. كما تشهد الشركات الصينية، كشركة (TCL) لصناعة الأجهزة المنزلية وشركة (Huawei) للاتصالات الهاتفية، على زيادة تقاسم منتجاتها مع روسيا.

أما الصادرات الروسية للصين، فتتصدر أساسًا في مصادر الطاقة كالزيت الخام، الذي غالبًا ما ينقل عن طريق السكك الحديدية، بالإضافة للصادرات من الطاقة الكهربائية من سيبيريا والأقاليم الشرقية المجاورة، وينتظر أن تزيد صادرات روسيا من النفط والكهرباء إلى الصين في المستقبل القريب؛ لأن روسيا تعمل حاليًا على إكمال خط الأنابيب العملاق إلى المحيط الباسيفيكي مع فرع إلى الحدود الصينية، كما أن شركة (UES) التي تحتكر بناء شبكة خطوط الطاقة الكهربائية، تبنى حاليًا بعض محطاتها للطاقة الكهربائية المائية، وفي ذهنها نظرة مستقبلية لتصدير الطاقة الكهربائية إلى الصين.

وبحكم روابطهما الجغرافية، السياسية، البشرية والاقتصادية، يكمل البلدان بعضهما بعضًا، من حيث احتياجات كل منهما في الموارد، الأسواق،

التقنية المتطورة والإستثمار؛ إذ أنشئت في الصين العديد من الشركات الصينية - الروسية التعاونية المتخصصة في العلوم والتقنية. كما تتواصل الجهود الحثيثة الآن لإنشاء شركة صينية - روسية للعلوم والتقنية في موسكو.

بسبب موقعها الجغرافي الذي جعلها قريبة من روسيا، وإرثها الروسي الفريد، تطمح مقاطعة هيلونقشيانق لمواصلة دورها كجسر للتواصل التجاري بين روسيا والصين.

### مفاوضات الشمال الشرقي:

بكل تأكيد، اعتمادك على تناول القمح أكثر من الأرز، يجعلك طويلاً، كما قد يجعلك أكثر صراحة. تلك هي الفكرة السائدة في ذهن سكان الجنوب عن جيرانهم رجال الأعمال في الشمال الشرقي. فالمفاوضون الذين ينتمون إلى المقاطعات الشمالية الشرقية الثلاث التي تقع أعلى نهر يانغتيز، هم بكل تأكيد صناعيون ورجال أعمال على قدر عالٍ من الكفاءة والتأهيل. كما أنهم أمناء وصريحون لدرجة تكاد تجعل الواحد منهم فظاً. كما أنهم غير معروفين بسبب استعدادهم الفطري للمخاطرة أو الإبداع. ويعتمدون نظاماً غذائياً بسيطاً، يعكس ثقافتهم المحلية بشكل لا مثيل له.

### بيجينق وتيانشين - مركز الصين للأبحاث والتنمية:

في ليلة الثالث عشر من يوليو عام 2001م، في منتصف فصل الصيف، وفي غمرة الحر الشديد، خرج سكان العاصمة الصينية (بيجينق) مع جموع سكان البلاد، لقضاء ليلة ساهرة ابتهاجاً بنجاح بلادهم في استضافة دورة الألعاب الأولمبية الصيفية لعام 2008م، وقد شاب احتفالهم الكثير من الهرج والمرج والتبذير في ظل النشوة والحيوية التي ملأت أنفسهم - فرقصت الأسود والتنانين في ساحة تيانانمين، واستخدمت الألعاب النارية لإضاءة النوافير بألوان

زاهية تطلق أمام مختلف المحال التجارية في المدينة مضيئة السماء. وانطلق الناس بسياراتهم الصاخبة في الشوارع ضاغطين على أبواقها ملوحين بالأعلام والقمصان حول المدينة، حتى السياسيين، خرجوا على أعلى مستوى واصطفوا وحناجرهم تلو بالهتاف، معلنين ترحيبهم بالألعاب الرياضية العالمية.

انكبت بيجينق اليوم في برنامج معمار واستثمار مثير للدهشة والإعجاب، استعداداً للألعاب. إذ تخطط لإنفاق (34) بليون دولار أمريكي على الألعاب الأولمبية خلال السنوات التي تسبق عام 2008م، منها (22) بليون دولار تصرف على تحديث العاصمة وتسهيل شبكة المواصلات فيها. ولا شك في أن مثل هذا المشروع ينطوي على فرصة واعدة يجذب مستثمري العالم.

بخلاف ما يحدث من تنمية اقتصادية تلقائية، وظهور المدن الجديدة والتفافها حول دلتا نهر يانغتيز ودلتا نهر بيرل، اكتسب اقتصاد إقليم بيجينق - تيانشين (الذي يزيد سكانه على 26 مليون نسمة) شكله الحالي بدعم النظام السياسي الحالي ومساعدة الأنظمة الاجتماعية السياسية القائمة اليوم التي مكنت موارد الشعب، وحتى موارد العالم، من التكسد حول منطقة العاصمة.

وقد استفاد تطوير وسط العاصمة الذي يمثل قلبها التجاري، زونقوانكون (وادي السيليكون في الصين) والقرية الأولمبية من الخلفية السياسية والثقافية المتميزة التي تتمتع بها بيجينق بوصفها عاصمة للبلاد.

### مركز الأبحاث والتنمية والصناعة التقنية المتطورة:

على العكس من دلتا نهر يانغتيز ودلتا نهر بيرل، اللتين اشتهرتا كـ «ورشة العالم»، ينتظر أن تصير منطقة بيجينق - تيانشين «مركز العالم للأبحاث والتنمية»، إذ تعرف حالياً، بالإضافة لمركز بيجينق للأبحاث والتنمية وتيانشين، كقاعدة للتصنيع والإنتاج بـ «مركز الصين لتقنية المعلومات». كما تعد نسخة

الصين المطورة من وادي السيليكون (زونقوانكون) مقرًا لنحو خمسة آلاف شركة من الشركات الصينية المتخصصة في التقنية المتطورة، وتشمل أسماء شركات عملاقة، كشركة (Lenovo)، بالإضافة لأكثر من ألف شركة عالمية من الشركات العاملة في هذا المجال. وهو التقاء مدهش بين التقنية المتطورة والمنتجين، مع أكثر من سبعين جامعة، بما فيها جامعة بيكينغ وجامعة تسينغهوا اللتان تعدان بمنزلة جامعة هارفارد وجامعة (MIT).

يدرس في هذه الجامعات صفوة المجتمع والقادة الذين بزوا كثيرًا من متخرجي المدارس الثانوية العليا عبر سلسلة من الاختبارات الصارمة والدقيقة منذ لحظة التحاقهم بالمدارس الابتدائية، ويتم اختيارهم عن طريق نظام جامعي تنافسي دقيق. وقد وصف البروفيسور ليو شيدينغ (Liu Shiding) من جامعة بيكينغ ذلك قائلاً: ”عندما نتحدث عن مواردنا من المواهب، فهذا هو أكثر الأماكن احتشادًا بالطاقة الذكية، وأكثر الأماكن نشاطًا وحيوية بين مراكز الأبحاث والتنمية في كل أرجاء البلاد“.

ويعمل في زونقوانكون، وهي مدينة صغيرة، نحو خمسمائة ألف باحث ومتخصص في التقنية، وظف كثيرون منهم في أكثر من مائتي معهد أبحاث للعلوم والتقنية، بينها معاهد ذات قدرات وكفاءات عالية ضمن الأكاديمية الصينية للعلوم، كمعهد الهندسة الكهربائية، معهد الإلكترونيات، مركز الأبحاث والتنمية المتخصص في تصميم الدارات الإلكترونية الصغيرة وصنعها واستخدامها، مركز معلومات الحاسوب، معهد المواد شبه الموصلية للتيار الكهربائي، معهد أنظمة الحاسوب ومعهد حساب التقنية.

قد أنشأت كل تلك المؤسسات الأكاديمية شركاتها الخاصة بها لتحويل نتائج أبحاثها إلى صناعة، ومن ثم تسويق منتجاتها. وفي عام 1980م، كان شين شونشيان (Chen Chunxian) وهو باحث في معهد الفيزياء التابع للأكاديمية

العلوم في الصين، في طليعة من (قفزوا في البحر)، وهو تعبير صيني حديث يعني ترك العمل في وظيفة ثابتة لمدة طويلة في القطاع العام والجمعيات الخيرية، والغوص في بحر الأعمال التجارية المثيرة. فتمكن شين (Chen) الذي عرف فيما بعد بـ "أبوزونقوانكون" من تسجيل شركة صغيرة ليدشن عصرًا جديدًا بما صنعه من نموذج غير مسبوق في إقحام العلوم في إنتاج الأبحاث وتحقيق التنمية والصناعة في الصين.

وبعد عدة سنوات، سار عالم آخر من معهد حساب الطاقة التابع أيضًا لأكاديمية العلوم في الصين يدعى ليوشوانزي (Liu Chuanzhi) على خطى شين (Chen) فأسس شركته الخاصة (شركة الحاسوب) التي تطورت فيما بعد لتصير أضخم شركة في البلاد في مجال الحاسوب (Lenovo). في حين اندمجت أضخم شركة في هذا المجال مع جامعة بيكينغ. أما جامعة تسينغهوا، فقد أسست شركاتها الخاصة بها في مجال تقنية المعلومات مثل شركة (UNIS) وشركة تونقفانق.

ثم تهافت المستثمرون الأجانب الذين جذبتهم كفاءة العلماء الصينيين والمهندسين على زونقوانكون، فأنشأوا مؤسساتهم البحثية والتنموية الخاصة، مثل (Pa)، (Siemens)، (Nokia)، (Motorola)، (Intel)، (Microsoft)، (IBM)، (Fujitsu)، (Hitachi)، (nasonic) و (Acer). ومنذ أن أنشأت شركة (Motorola) أول معمل أبحاث وتنمية أجنبي في الصين عام 1993م، تجاوز عدد التسهيلات التي تقدمها البلاد في هذا المجال السبعمائة.

يلاحظ أن (Motorola) هي أكبر شركة استثمارية أجنبية متحدة في الصين، بشكل لافت للنظر، ولا يخفى أن الصين هي أضخم سوق للهاتف المحمول، بزت في ذلك حتى الولايات الأمريكية المتحدة. وفي عام 2001م، بلغت مبيعاتها (4.9) بليون دولار أمريكي، لتحل محل شركة (Volkswagen)

الألمانية لتصبح الشركة الاستثمارية الأجنبية رقم واحد في الصين. وقد بلغت استثماراتها في الصين منذ عام 1986م، أربعة بليون دولار أمريكي، في حين بلغ فريق عملها هناك نحو (15.000) عامل وموظف. وتخطط حالياً لزيادة إنتاجها السنوي ليبلغ عشرة بلايين دولار أمريكي، وتراكم استثماراتها لتبلغ عشرة بلايين دولار. كما تخطط أيضاً لزيادة مبيعاتها في الصين لتبلغ الرقم نفسه.

### المنطقة التجارية المركزية..

#### عامل جذب جديد في بيجينغ:

غالبًا ما تستعر المنافسة بين مختلف أجزاء البلاد في الصين لجذب انتباه مستثمري العالم والفوز بفرص التصدير. ففي عام 2002م، كشفت بيجينغ عن خطة طموحة لتشيد مبنى «منطقة تجارية مركزية عالمية» تعرف اختصارًا بـ (CBD) في قلب منطقتها التجارية. ويتباهى مسؤولو بيجينغ بما يمكن أن يكون لتلك المنطقة من إغراء منطقة بودونق الجديدة في شانغهاي ذاتها، لكي تنافسها في جذب الاستثمارات المحلية والخارجية.

على الرغم من أن مفهوم المناطق التجارية المركزية، ظهر لأول مرة في الولايات الأمريكية المتحدة في مطلع عشرينيات القرن الماضي، إلا أن بيجينغ شعرت أخيراً أنها مستعدة لتشيد منطقة تجارية مركزية خاصة بها، كتلك التي تنصب في خاصرة مانهاتن بمدينة نيويورك الأمريكية، (La Defence) في باريس و (Shinzuku) في طوكيو. وسوف يتم تقسيمها إلى مناطق تشيد فيها مكاتب، شقق سكنية، مراكز تقنية، شبكة مواصلات ووسائل اتصالات لتسهيل مهمة الوكالات المالية والتجارية.

تعزم الجهات المسؤولة تشيد تلك المنطقة التجارية، شرقي المنطقة التجارية، خارج مدينة بيجينغ القديمة، في مساحة قدرها أربعة كيلومترات مربعة. مع قدر قليل من الالتزام بالضوابط التاريخية التي تحمي وجه العاصمة

المعماري، ومرونة القوانين المناطقية التي تتعلق بارتفاعات المباني. وهي قادرة على توفير الطاقة اللازمة للاستجابة لمتطلبات مستثمريها المتصاعدة.

وسعيًا لتطوير المنطقة اليوم لتصير منطقة تجارية مركزية كما أريد لها، صارت مقرًا لـ (70%) من إجمالي الموارد الأجنبية في كل المدينة، بالإضافة لمناطق السفارات الأجنبية الثلاث. كما نقلت إليها أكثر من (60%) من الوكالات الأجنبية في المدينة، وما يزيد على (50%) من فنادق الخمسة نجوم مثل (Hyatt)، (St.Regis)، (Holiday Inn)، (Shangri-la)، (Sheraton)، (Hilton) و (Marriot).

قد بلغ عدد الشركات التي اتخذت منها مقرًا نحو (1.750) شركة، بينها (457) شركة متحدة متعددة الجنسية، (570) مكتب تمثيل تجاري، (150) بنكًا أجنبيًا وشركات تأمين ووكالات، بالإضافة لـ (192) مكتبًا لخدمات السمسة. كما تشغل التسهيلات والتجهيزات الأساسية للأعمال القائمة أكثر من (3) ملايين كيلومتر مربع، تشمل تجهيزات شركات عملاقة، كمركز الصين التجاري العالمي، (Motorola Plaza)، مركز (HP Plaza)، (Kerry) التي تحتضن مئات الشركات المتعددة الجنسيات والوكالات المالية، مثل (HP)، (Motorola)، (Samsung)، (Ford)، مجموعة (UBS AG)، (BNP Paris - bas). واليوم تعمل (160) شركة بين أفضل (500) شركة عالمية في بيجينغ. أنشأت أكثر من (120) شركة منها، مكاتب لها في المنطقة التجارية المركزية والمناطق المحيطة بها.

### تيانشين:

تعد مدينة تيانشين الساحلية إحدى البلديات الأربعة على مستوى المقاطعة التي تتبع الحكومة المركزية مباشرة، بالإضافة لبيجينغ، شانغهاي وشونجتق، كما تعد أحد الأجزاء المندمجة التي تشكل اقتصاد خليج بوهاي. وقد قدرت

مساهمتها في الدخل القومي عام 2005م بـ (45.8) بليون دولار، وظلت تزيد بمعدل (14.5%) سنوياً. كان نصيب الفرد منها (8.000) دولار سنوياً تقريباً. كما بلغ مخزونها من النفط، مع منطقة داقانق التي تحتوي على حقول نفط مهمة، بليون طن.

وكانت أضخم مدينة صينية صناعية بعد شانغهاي وبيجينق، سجلت مدينة تيانشين أعلى نسبة نمو في الناتج القومي (12%) عام 2001م، بين كل المقاطعات والبلديات. واحتل ناتجها الصناعي المرتبة الثالثة بين سائر مدن الصين خلال الثلاثة أرباع الأولى لعام 2002م. وتشكل السيارات، الإلكترونيات، التعدين والبتروكيميائيات، عماد صناعتها الاقتصادية.

من جهة أخرى، شهدت تيانشين خلال السنوات القليلة الماضية، عجلة تنمية سريعة في مجال الصناعات التقنية المتطورة، ولا سيما في مجالات تقنية المعلومات، التقنية الأحيائية<sup>(\*)</sup>، الطب، المواد الجديدة والطاقة الحديثة. وبلغ دخلها من الصناعات التقنية المتطورة نحو ثلث إجمالي إنتاج البلدية الصناعي.

لقد صارت تيانشين بفضل استثمارات شركة موتورولا الضخمة في منطقتها المخصصة لتنمية الاقتصاد والتقنية، أضخم قاعدة لإنتاج أجهزة الهاتف المحمول. ويعتقد أن نصف كمية الهواتف المحمولة المستخدمة حالياً في الصين قد صنعت فيها. وحسبما يتم تداوله من أخبار، سوف تستثمر موتورولا مبلغ (1.9) بليون دولار أمريكي إضافي خلال السنوات القليلة القادمة لبناء مركز لتصنيع المواد شبه الموصلة للتيار الكهربائي، بالإضافة لمركز إنتاج أجهزة الهاتف والتلغراف لتزويد آسيا في تيانشين.

(\*) التقنية الأحيائية: شعبة من التقنية تعنى بتطبيق المعطيات البيولوجية والهندسة على المشكلات المتعلقة بالإنسان والآلة (المترجم).

## التفاوض في العاصمة وما حولها :

عرف المفاوضون الذين ينحدرون من منطقة بيجينغ (داخل الصين) بنظرتهم البيروقراطية الإمبريالية، وقد أدى هذا إلى فقر المنطقة الشديد في مجال الإبداع أو ما يطلق عليه الصينيون «التفكير خارج الإطار». وفي حقيقة الأمر، يهتم الصينيون في البداية بتحديد إطار عملهم، ثم لا يفكرون مطلقاً بعد ذلك في التفكير خارج حدود هذا الإطار الذي رسموه. فمن خلال ما أجريناه من دراسات حول أسلوب بيجينغ/ تيانشين في المفاوضات، وجدنا أنهم يولون التركيز على الأسئلة اهتماماً منقطع النظير. كما يتميز أسلوبهم أيضاً بفترات الصمت المتكررة من حين لآخر، والتركيز على التواصل غير المباشر، الذي يشتمل على استخدام محدود لعبارات قصيرة مثل «لا» و«أنت» مقارنة بكل الثقافات في العالم تقريباً. وتجدر الإشارة هنا للتحذير من تنامي ظاهرة تهافت المديرين من جميع أنحاء العالم للعمل في العاصمة وما حولها، بسبب انتشار مثل ذلك الأسلوب في المفاوضات.

## شانغهاي :

تعرف كل من مدينة شانغهاي وهونغ كونغ على مستوى العالم أنهما مراكز تجارية واقتصادية رائدة في آسيا. وقد شاعت سمعة شانغهاي بشكل أساس قبل اندلاع فتيل الحرب العالمية الثانية، عندما كانت تعد إحدى أهم الدول المفتوحة والأمنة في أرض كانت تشهد اضطراباً واهتياجاً عظيمين على الدوام، فعرفها بعض الناس بـ «جنة المغامرات».

أما هونغ كونغ، فقد ظهرت على المسرح العالمي بعد أن وضعت الحرب العالمية الثانية أوزارها، كواحدة من أعظم معجزات آسيا الاقتصادية، وأكثر اقتصاد حر في العالم. ويمكن القول إن صعود نجم هونغ كونغ يعزى إلى حد ما، لتدهور شانغهاي الذي بدأ في مطلع خمسينيات القرن الماضي إثر بداية التجربة الشيوعية في الصين.

لكن على الرغم من ذلك، كانت إنجازات شانغهاي الاقتصادية المثيرة للدهشة والإعجاب سعيًا لتصير مركزًا اقتصاديًا وماليًا إقليميًا، مرهقة لأعصاب خبراء الاقتصاد في هونغ كونغ الطموحين، الذين بحثوا آثار التنمية في شانغهاي - مع أعضاء منظمة التجارة العالمية - على الوضع الاقتصادي في هونغ كونغ. وقد تملكهم الذعر وسيطر عليهم القلق على الرغم من أن مساهمة هونغ كونغ في الناتج القومي تساوي ثلاثة أضعاف مساهمة شانغهاي تقريبًا، في حين يزيد معدل الدخل القومي للفرد الواحد فيها على (16) ضعفًا عن مثيله في شانغهاي. كما أن تدفق الاستثمارات الأجنبية المباشرة إلى هونغ كونغ خلال عام 2001م، كان خمسة أضعاف تلك التي يمتت وجهها شطر شانغهاي. وقد تمت كل تلك الإنجازات بعدد سكان يقل عن السبعة ملايين نسمة، في حين يزيد عدد سكان شانغهاي على الستة عشر مليون نسمة.

على صعيد آخر، تعد شانغهاي التي سوف تستضيف المعرض العالمي لعام 2010م، إحدى الأربع بلديات على مستوى المقاطعة التي تتبع مباشرة للحكومة المركزية، كما تعد مركز الصين التجاري والمالي والتاريخي. يشكل سكانها (1.3%) فقط من إجمالي سكان البلاد. في حين لا تزيد مساحتها على (1%) من مساحة الصين. وتسهم بـ (5%) من إجمالي الدخل القومي، أما مساهمتها في مجال الصناعة فتبلغ (8%) من إجمالي الدخل القومي للصناعة، وبها أكبر ميناء بحري في البلاد، تبلغ سعته السنوية عشرة ملايين (TEUs) من البضائع. وقد سجل اقتصادها معدل نمو بلغ (11.1%) ”زيادة (9.9%) عن معدل نمو الاقتصاد القومي“، وقد بلغ حجم تبادلها التجاري مع الولايات الأمريكية المتحدة (114) بليون دولار أمريكي عام 2005م، محققًا بذلك نموًا مضطردًا للعام الرابع عشر على التوالي. وقد صار ميناؤها أكثر موانئ العالم حركة ونشاطًا فيما يتعلق بنقل البضائع، إذ بلغ وزن البضائع المنقولة عبره (443) مليون طن سنويًا.

من ناحية أخرى، حققت شانغهاي خلال العقد الأخير بنية اقتصادية أساسية. وخفضت القيمة المضافة على منتجاتها الصناعية بشكل ملحوظ، خاصة فيما يتعلق بصناعة المنسوجات والصناعات الثقيلة؛ لأن كثيراً من الشركات أعادت انتشارها خارج شانغهاي. وعلى الرغم من أن القيمة المضافة على الصناعات لا تزال تشكل عبئاً على معظم العمالة الصناعية، إلا أن شانغهاي قد حققت تقدماً معتبراً في تطوير صناعة تجميع السيارات وغيرها من الصناعات التقنية المتطورة، كصناعة الحاسوب، معدات الاتصالات والدارات المتكاملة (\*).

لقد ساهم اقتصاد الصين المتنامي وانضمامها إلى منظمة التجارة العالمية (WTO) في دعم موقف شانغهاي بوصفها مركزاً تجارياً ومالياً إقليمياً. ويعزى نصف الناتج القومي للمدينة لتطور الخدمات المالية الصناعية كالبنوك، البيع بالتجزئة، التمويل، التجارة، التأمين والعقارات.

إن شانغهاي تمثل وجهة أساسية للاستثمارات الأجنبية المباشرة. إذ تعتلي قمة القائمة في جذب الاستثمارات الأجنبية في الصين. أما هونغ كونغ فهي أضخم مورد وأهمه لجذب استثمارات ما وراء البحار المباشرة في شانغهاي.

ومن المستثمرين الرئيسيين الآخرين في شانغهاي: اليابانيون، الأمريكيون، الكوريون الجنوبيون والألمان. كما سجلت كثير من الشركات العالمية متعددة الجنسيات مثل: (Ex)، (Mitsubishi)، (General Motors)، (Hitachi)، (Siemens)، (Toyota Motor)، (General Electric)، (Xerox)، (Volvo)، (Bosch)، (Samsung)، (BMW)، (Toshiba)، (Fiat)، (Sony)، (Alcatel)، (Cannon)، (Xerox)، (LG)، حضوراً مميزاً في شانغهاي.

(\* الدارة المتكاملة: دارة إلكترونية، تشكل عناصرها بطريقة كيميائية، على قطعة من مادة شبه موصلة (الترجم).

في مطلع تسعينيات القرن الماضي، وجدت شانغهاي في افتتاح منطقة بودونق وتطويرها، فرصًا جديدة لتحقيق مزيد من النجاح. فتمكنت خلال عقد واحد فقط من إعادة تشكيل ذاتها وتعديل صورتها، من قاعدة للصناعات التقليدية، إلى مركز تجاري حديث. كما يمثل تطوير مناطق ليوشيازوي، ويقاوكيا وشنشيا اليوم أسماء مراكز مالية، تجارية وصناعية لامعة على التوالي.

### معرض شانغهاي العالمي لعام 2010م

#### وما يعنيه من فرص تجارية :

تقدر استثمارات شانغهاي في مشروعات المعرض العالمي الذي سوف يقام على أرضها عام 2010م، بثلاثة بلايين دولار أمريكي، (43%) منها تأتي من موارد الدولة، (36%) من الشركات و(21%) من البنوك. وتبلغ مساحة المعرض (240) هكتارًا تستضيف جناحًا صينيًا، أجنحة أخرى عالمية، أجنحة متحدة، مركز مؤتمرات وقاعة طعام عامة. وقد خصص مكان في بودونق لحفل الافتتاح، تبلغ مساحته (3.4) كيلومتر مربع.

لقد أظهر استفتاء أجري على طريقة غالوب<sup>(\*)</sup> أن عدد الذين سوف يفتدون إلى شانغهاي، بمن فيهم الزوار الذين يرغبون في مشاهدة الأماكن الأثرية والسياحية ورجال الأعمال، يقدر بسبعين مليون شخص خلال فترة المعرض التي تمتد من شهر مايو حتى شهر أكتوبر من عام 2010 م. وإن كان (2%) من هؤلاء الزوار يأتون من وراء البحار، فإن هذا يعني أن هنالك حاجة إلى رحلات جوية لـ (2.8) مليون زائر. وفي حال اضطرار (20%) من الزوار المحليين إلى السفر بالطائرة، تزداد الحاجة لـ (26.8) مليون تذكرة طيران. وعليه، لا بد لمطارات شانغهاي من استيعاب نحو (30) مليون مسافر خلال تلك

(\*) غالوب، جورج هوارس (1901 - 1984م): عالم إحصاء أمريكي أنشأ معهدًا يعنى باستطلاع الرأي العام، في مختلف القضايا عن طريق الإستفتاء (المترجم).

الأشهر الستة التي يقام فيها المعرض. ومن أجل تلبية هذه الحاجة، لا بد من التعجيل بتوسعة مطار بودونق الدولي الذي اكتمل العمل فيه حديثاً.

وينتظر أن يهيئ المعرض فرصة أعمال تجارية عالمية كذلك التي أتاحتها إقامة الألعاب الأولمبية في بيجينغ عام 2008م، من مشاريع معمارية، إدارية، مالية، سياحية، استثمارات فنادق، بيع وحماية بيئية وغيرها من مشروعات.

### دلتا نهر يانغتيز.. أضخم دائرة اقتصادية في شانغهاي:

على الرغم من أن ثلثي السكان تقريباً ما زالوا يعيشون في مناطق ريفية، يشكل عدد سكان المدن اليوم ثلث السكان في الصين، ووفق معيار التحضر العالمي، نجد أن الصين تسير بحظي حثيثة في اتجاه التحول لاقتصاد حضري وصناعي تام.

بعد عقدين من نمو اقتصادي غير مسبوق، شهدت الصين انبثاق فجر ثلاث مدن حضرية نجحت في تطوير مواردها الاقتصادية من خلال تكاملها في العمالة والمهمات. كما عملت تلك المدن الحضرية كقوة دافعة لتنمية اقتصادها الإقليمي الخاص. وتضم حاضرة بيجينغ مدينتي بيجينغ وتيانشين العملاقتين اللتين يبلغ مجموع سكانهما (40) مليون نسمة. أما حاضرة دلتا نهر يانغتيز، فتتمركز حول هونغ كونغ وقوانغزو، ويبلغ عدد سكانها (21) مليون نسمة. أما أضخم حاضرة فهي منطقة شانغهاي العظمى في دلتا نهر يانغتيز، التي يبلغ عدد سكانها (70) مليون نسمة، بما فيها مدن كثيرة مختلفة الأحجام في زيشيانق وشيانقسو المجاورتين.

أما حاضرة نهر دلتا يانغتيز، فتعد إحدى أضخم ست مجموعات حضرية في العالم، التي تشمل بالإضافة إليها: مدينة نيويورك - بوسطن - والعاصمة واشنطن، شمال شرقي الولايات الأمريكية المتحدة، تورنتو - شيكاغو في منطقة

البحيرات العظمى، طوكيو - يوكوهاما - أوساكا في اليابان، لندن - مانشستر في المملكة المتحدة. وأمستردام - رورقبيت - باريس في شمال غربي أوروبا.

من ناحية ثانية، تنقسم منطقة شانغهاي الضخمة إلى أربعة أقسام مشتركة ومتنافسة، مع بقاء قلب المدينة ممثلًا مركزًا عامًّا جاذبًا للأعمال من مختلف الأقاليم في دلتا نهر يانغتيز إلى المركز، مشكلًا ذراعًا رابعًا:

- منطقة طريق قصير يجتازه السائق في نصف ساعة، تشمل بشكل أساس كل مناطق بلدية شانغهاي، بما فيها منطقة بودونق الجديدة.
- منطقة طريق يجتازه السائق في ساعة كاملة، وتغطي مدن سوزو المجاورة في مقاطعة شيانقسو (71.1 مليون نسمة) وشياكسنت في مقاطعة زيشيانق (41.1 مليون نسمة).
- منطقة طريق يجتازه السائق في ساعتين اثنتين، تشمل المدن البعيدة - نانتونق، وكسي وشانقزو في مقاطعة شيانقسو، وهانقزو وننقبو في مقاطعة زيشيانق.
- منطقة طريق يجتازه السائق في أربع ساعات، تشمل مدينة نانشينق التي تمثل عاصمة مقاطعة شيانقسو.

تخدم هذه الأذرع الأربع كل سكان دلتا نهر يانغتيز الذين يبلغ عددهم (70) مليون نسمة، وفي حين نجد أن أعلى نصيب للفرد من الناتج القومي على مستوى البلاد يأتي من شانغهاي، يزيد نصيب الفرد من الناتج القومي في شانغهاي، شيانقسو وزيشيانق على خمس نصيب الفرد من الناتج القومي - أكثر من (240) بليون دولار أمريكي - على مستوى البلاد. أما إجمالي الاستثمارات الأجنبية المباشرة في كل من شانغهاي، شيانقسو وزيشيانق، فتزيد على ثلث إجمالي الاستثمارات الأجنبية المباشرة في جميع البلاد - (12) بليون دولار أمريكي.

## منطقة بودنق الجديدة:

تقع بودنق على الضفة الشرقية لنهر هوانغبو الذي يجري عبر الجزء الحضري من شانغهاي، وتبلغ مساحتها (533.44) كيلومتراً مربعاً، ويقطنها (1.68) مليون نسمة. وهي كمعجزة شنزين تماماً - التي تحولت من قرية صيد للسمك، إلى حاضرة عملاقة خلال عقد واحد فقط. إذ تطورت بودنق خلال تاريخها الذي لم يتجاوز خمس عشرة سنة اقتصادياً وحضرياً بشكل مثير للدهشة. ليس هذا فحسب، بل أصبحت تجسد صورة مصغرة لشانغهاي الحديثة، وسارت أبعد من ذلك، لتجسد رمز الإصلاح في الصين وتمثل حافز الانفتاح.

يمكننا إدراك مدى تلك القفزة النوعية بسهولة شديدة إذا علمنا أن ناتج بودنق القومي المحلي في بداية مراحل تنميتها عام 1990 م، بلغ بالكاد (750) مليون دولار أمريكي. ليقدّر عام 2005 م، بأكثر من (25) بليون دولار. وزاد عدد المشروعات الاستثمارية الأجنبية في منطقة بودنق الجديدة ليلبغ (8.000) مشروع، جذبت استثمارات تقدر بـ (40) بليون دولار أمريكي.

كان شعار «البنية التحتية أولاً» هو الإستراتيجية التي اتبعتها بودنق منذ بداية مراحل تطورها. فأنفقت منذ عام 1990م حتى اليوم (25) بليون دولار أمريكي في تأسيس البنية التحتية. إذ فرغت الآن من إكمال حزمة المشروعات الرئيسية كالجسور، شق القنوات، خطوط المترو، ميناء بحري عميق المياه ومشروعات الطاقة. كما تحسن مستوى الاستثمارات البيئية فيها بشكل ملحوظ.

بين عامي 2001 و 2005م، نجحت بودنق في تطوير «ثلاثة موانئ» (ميناء بحري، مطار وميناء جاف) و«ثلاث شبكات طرق» (سكة حديد، طرق سريعة وطرق ملاحية) و«ثلاثة أنظمة للطاقة» (الطاقة الكهربائية، الغاز الطبيعي والتدفئة المركزية) كمرتكز أساس للبنية التحتية.

في عام 1999م، أكملت بودنق المرحلة الأولى من مطارها الدولي لتشتغل في شهر أكتوبر من العام نفسه. كما فرغت من تنفيذ مشروع مدرج طوله (4.000) متر وصاله وصول مساحتها (250) ألف متر مربع. فبلغت السعة الاستيعابية للمطار اليوم (20) مليون مسافر و(750) ألف طن من البضائع سنوياً. وتقضي الخطة بتنفيذ أربعة مدرجات تتسع لسبعين مليون مسافر في السنة.

ويشكل مركز بودنق العالمي للمعلومات، حجر الزاوية لميناء شانغهاي البري؛ لأنه يكون محور جمع المعلومات، تحليلها، تخزينها، تبادلها ونقلها، في شانغهاي. معتمداً مختلف وسائل الاتصال، الألياف الضوئية، تقنية الحاسوب والأقمار الصناعية، موفرًا بذلك الاتصالات والمعلومات على مدار الساعة. وقد إكتملت الآن المرحلة الأولى من المشروع. وخصصت له بناية ارتفاعها (180) متراً، ومساحتها (80) ألف متر مربع. وتشكل الأدوات المستخدمة في المبنى جزءاً من وسائل تسهيل نقل المعلومات في غرب شانغهاي كما هو الحال مع بقية أجزاء البلاد، بالإضافة للربط المباشر مع وسائل الاتصال العالمية، وهكذا يمثل مركز بودنق العالمي للمعلومات، قاعدة أساسية لتوفير المعلومات على طريق شانغهاي السريع.

من جهة أخرى، سوف تشكل ويقاوكياو منطقة الميناء الجديد في منطقة بودنق الجديدة (حالياً تحت التشييد) مركز ميناء شانغهاي الجديد مستقبلاً. ويخطط لكي تبلغ سعة ميناء ويقاوكياو و(50.4) طن من البضائع سنوياً، منها (5.25) مليون طن سعة حمولة الحاويات. وقد قسمت مراحل تطويره إلى أربع مراحل تكتمل بحلول عام 2020 م. وقد بدأ العمل حالياً في المرحلة الرابعة، وبلغت العائدات (3) ملايين (TEUs).

## مركز شانغهاي التجاري العالمي.. «مانهاتن الشرق»:

قررت شانغهاي تحويل منطقة لوشيازوي إلى منطقة تجارية مركزية خلال عقد واحد من الزمن مجهزة بكل ما يلزم. ويتوقع أن يزيد حجم المال الذي خصص للاستثمار في هذا الغرض على (12.5) بليون دولار أمريكي. وقد تنافس على تصميمها مهندسون معماريون من (Richard Rogers Part-nership) من المملكة المتحدة و (Dominique Perrault Associates) من فرنسا، و (Toyo Ito & Associates) من اليابان و (Massimiano Fuksas Associates) من إيطاليا. وسوف يتم اختيار أفضل العناصر من كل عمل لتشكيل التصميم الأخير لشكل المركز التجاري.

من السهولة بمكان إدراك الهدف من منطقة لوشيازوي التجارية من خلال نزعتها الشرقية تجاه صناعة الخدمات المالية التي سوف تتشكل من سبعة أسواق مالية - الأمن، العقار، المستقبل، المواهب، الحقوق الفكرية، المجوهرات والنشر. وينتظر لسوق شانغهاي للأوراق المالية، أن تصير على المدى البعيد أكثر قوة من سوق هونغ كونغ وشينزين، بفضل ما يمتلكه شانغهاي من تنوع صناعي هائل، موارد اقتصادية متكاملة في دلتا نهر يانغتيز، حتى كل منطقة وادي نهر يانغتيز التي تمتد عميقاً داخل منطقة الصين الخلفية، ودعم قوي من بيجينغ.

## سوزو:

ظهرت مدينة سوزو التي تقع على بعد ساعة واحدة بالسيارة غرب شانغهاي بسرعة شديدة كواحد من أهم المراكز الصناعية في الصين وأنشطتها. فحلت محل عاصمة المقاطعة نانسيانق، التي تقع على بعد ساعتين على طريق قطار شانغهاي - نانسيانق السريع، لتشكيل الرقم الاقتصادي الأول

في مقاطعة شيانقسو، وأهم مركز فيها للتجارة الخارجية. ومنذ نهاية القرن، تهاقت المستثمرون من وراء البحار، خاصة عشرات آلاف الشركات التايوانية التي تصنع كل شيء، من البضائع الاستهلاكية اليومية حتى المنتجات التقنية المتطورة، إلى المدينة التي عرفت في السابق بصناعة الحرير فقط.

ليس ثمة شك في أن انخفاض التكلفة والارتقاء بمستوى الجودة في سوزو، قد ساهما بشكل فعال في نمو قطاعها الصناعي المدهش. الأمر الذي شجع مستثمرين كثر مثل فيليب شين (Philip Chen) رئيس شركة تايوانية لصناعة الإلكترونيات - تصنع معدات المسح الضوئي والمعدات البصرية - لنقل شركته من هسنشو قرب تايبيه، إلى سوزو؛ لأن ذلك يمكنه من تقليص النفقات بنسبة (8%) إلى (10%) من خلال بناء مصنع في سوزو. كما أن الحركة ووسائل النقل اللوجستي قرب تايبيه أكثر تعقيداً عند سوزو.

لقد ظهرت سوزو من جديد كقاعدة متقدمة في صناعة التقنية المتطورة في الاقتصاد العالمي، وكانت على الدوام ضمن أهم عشر مدن في مجال التقنية. ولهذا ليس غريباً أن تصنع شركة لوجتيش السويسرية العالمية ثلث حاجة العالم من فأرة الحاسوب الشخصي في سوزو، لكن ليس هذا كله أكثر من قمة الجليد فيما يتعلق بقدرات سوزو في مجال تقنية المعلومات في العالم. إذ تصنع المدينة تقريباً كل أداة من شأنها تسهيل عمل الحاسوب، من الرقائق الدقيقة في قلب الحاسوب إلى الهياكل البلاستيكية التي تحمي معظم قطع التروس الإلكترونية.

لم تكتف شركة لوجتيش السويسرية العالمية بنقل مقرها إلى سوزو فحسب، بل ذهبت أبعد من هذا لتشجع مموليها التايوانيين على الانتقال إلى سوزو. فصارت تشتري الآن معظم احتياجاتها من الهيكل البلاستيكي لفأرة الحاسوب، الدوائر المدمجة المتكاملة وأسلاك الكيبل محلياً من منطقة دلتا نهر يانغتيز. وقد أظهرت دراسة إحصائية حديثة أجراها اتحاد تايبيه للحاسوب

أن (90%) من الشركات التايوانية المتخصصة في التقنية المتقدمة استثمرت في الأرض الرئيسة أو على الأقل تفكر في الاستثمار فيها، حيث يوجد الآن نصف مليون مهندس وإداري تايواني مع أسرهم يعيشون في منطقة شانغهاي - سوزو، وحاليًا تركز الشركات التايوانية التي تعنى بصناعة لوحة مفاتيح الحاسوب، استثماراتها في كل من كونشان وسوزو في مقاطعة شيانغسو.

### انتبه حتى لا تقع في فخ مفاوضات شانغهاي:

اشتهر مفاوضو منطقة شانغهاي في الصين بالمكر والدهاء وسعة الحيلة. إذ يمتازون بالود والافتتاح والكرم واللباقة، ويحرصون دائمًا على بذل كل ما في وسعهم للتأثير فيك حتى لا ترى أي مكان آخر في الصين غير شانغهاي. فمن وجهة نظرهم، كل شيء ممكن - فهم أصحاب ذكاء وعبقرية مبدعة. ولا سيما الأجيال التي نشأت وهي تتحدث لهجة أهل شانغهاي، فعرفت بالتعصب السياسي والمكر والدهاء، مما جعل بعض الناس في الصين يصفهم بالأناثية، بل حتى بالخداع. لكن، بصرف النظر عن أي شيء آخر، هم ناجحون، وهم فعلاً المجموعة التي تسيطر على الأعمال التجارية في الأرض الرئيسة... فانتبه. وربما كان من مصلحتك أن نلفت انتباهك هنا للعودة إلى عنوان الفصل الأول من هذا الكتاب، فقد يخدمك ذلك كثيرًا.

### دلتا نهر بييرل:

تغطي منطقة نهر بييرل العظمى، بما فيها هونغ كونغ وماكاو، مساحة قدرها (47) ألف كيلومتر مربع، يقطنها (21) مليون نسمة، ويشكل هذا العدد ثلث سكان المقاطعة كلها. وبمطلع القرن الحادي والعشرين، كان للدلتا ثلاث مدن تجاوز عدد سكان كل واحدة منها خمسة ملايين نسمة: هونغ كونغ، قوانغزو وشينزين. وخمس مدن أخرى، تجاوز عدد سكان كل واحدة منها المليون نسمة: زوهي، هيزو، فوشان،

زونقشان ودونقوان، بالإضافة إلى مجموعة من المدن يبلغ عدد سكان كل واحدة منها تقريباً نصف المليون نسمة، أهمها: ماكاو، زاوكنق، شوند بانيو ونانهي.

لقد أصبح إقليم دلتا نهر بيرل في مقاطعة قوانغدونغ (70 مليون نسمة) ورشة العالم لصناعة تقنية المعلومات، وإحدى أهم القواعد الصناعية في العالم. وتمثل المنطقة الاقتصادية في الدلتا محور اقتصاد المقاطعة، إذ تساهم بـ (80%) من إجمالي إنتاجها الوطني. وتعد معظم المدن التي تشارك في الإنتاج الوطني هذا، كمدينتي شنشين ودونقوان بين المدن الصينية التي تحقق أقصى عائدات من التبادل التجاري الخارجي.

نتيجة للاستثمارات الأجنبية الهائلة، تطورت صناعات قوانغدونغ بسرعة شديدة، ولا سيما في المنطقة الاقتصادية للدلتا. وتجدر الإشارة هنا إلى أن قوانغدونغ قد صارت اليوم أهم مركز تصدير للصناعات للمستثمرين الأجانب، خاصة من هونغ كونغ وتايوان. فاحتلت المرتبة الأولى من حيث القدرة على جذب الاستثمارات الأجنبية المباشرة بين جميع المحافظات والبلديات، إذ حازت الآن ثلث تلك الاستثمارات في طول البلاد وعرضها. وتنشط الاستثمارات الأجنبية في قوانغدونغ بشكل أساسي في المجال الصناعي (70% من إجمالي الاستثمارات الأجنبية) خاصة صناعة الحاسوب وملحقاته، منتجات علم الأحياء التطبيقي وعملياته، المنتجات الميكانيكية والإلكترونية، تكرير المواد الكيميائية وتفتيتها والصناعات التقليدية كصناعة اللعب والملابس. وتلعب الشركات الإستثمارية الأجنبية دوراً مهماً في اقتصاد قوانغدونغ، إذ تسهم بنحو (60%) من إجمالي صادراتها الصناعية.

تمثل هونغ كونغ أهم مصدر للاستثمارات الأجنبية المباشرة في قوانغدونغ. أما المستثمرون الآخرون فيها فهم التايوانيون، اليابانيون، الكوريون الجنوبيون، السنغافوريون والأمريكيون. ولهذا فهي تشهد اليوم

حضورًا كبيرًا لكثير من الشركات العالمية الرائدة المتعددة الجنسيات مثل:

(IBM)، (Intel)، (Hitachi)، (Samsung)، (Sony)، (General Electric)  
(P&G)، (Amway)، (Nokia)، (ICI)، (Ericsson)، (Siemens)، (Panasonic)،  
(Bosch)، (Toshiba)، (Sanyo)، (Nestle)، (pepsi)، (Coca - Cola) &  
(Mitsubishi).

### شنشين:

شنشين مدينة مزدهرة الآن، محادة لهونغ كونغ، كانت حتى قبل عشرين عامًا فقط مجرد قرية يعيش أهلها على صيد الأسماك. أما اليوم فقد احتلت مكان عاصمة المقاطعة (قوانقزو) في ريادة الاقتصاد المحلي. في عام 1980م، صنفت شنشين كأول منطقة اقتصادية صينية خاصة. وكان عدد سكانها الدائمين يومئذٍ (300) ألف نسمة فقط. أما اليوم، فقد وصل العدد إلى (7) ملايين نسمة، الأمر الذي يعكس تميزها وجاذبيتها كقاعدة صناعية وملقى طرق مهم.

في عام 2005م، تجاوزت مساهمتها في الناتج القومي (120) بليون دولار أمريكي، بزيادة (15%) عن معدل مساهمتها في العام السابق. وقد حقق اقتصادها في الفترة بين عامي 2001 و2005م متوسط نمو بلغ (16.3%) سنويًا. أما ميناؤها البحري فقد احتل المرتبة الرابعة كأضخم ميناء في العالم يشهد حركة نقل كثيفة، إذ بلغ عدد الحاويات التي تصله سنويًا أو تغادره (13.6) بليون حاوية.

صحيح.. تعد شنشين قاعدة صناعية لعدد من الصناعات التقليدية، لكن هذا لم يمنع ظهور صناعات جديدة ذات تقنية عالية، شكلت أحد محاور ارتكازها الاقتصادية المهمة منذ منتصف تسعينيات القرن الماضي. حتى صارت المنتجات الصناعية الجديدة والمنتجات الصناعية المتقدمة، تشكل

نصف عائدات المدينة من القطاع الصناعي تقريباً، و(20%) من إجمالي الناتج القومي، أعلى من المدن الصينية الرئيسة الأخرى، فاحتلت بذلك أول القائمة بين جميع مدن البلاد. وتشكل المنتجات الصناعية الإلكترونية وأدوات الاتصالات أكثر من (90%) من إجمالي دخل شنشين من الصناعات الجديدة والصناعات التقنية المتقدمة.

لقد أفادت شنشين كثيراً من قربها من هونغ كونغ التي تعد مركزاً عالمياً للخدمات. وكقاعدة صناعية لطائفة واسعة من الصناعات، تستطيع شنشين استخدام هونغ كونغ رصيفاً تجارياً لتوسيع رقعة سوقها العالمي. ومن الناحية الأخرى، يمكن للشركات الأجنبية تزويد شنشين بالمنتجات الصناعية عبر هونغ كونغ أيضاً.

### التفاوض في الجنوب المنعم بالحيوية :

ظل الصينيون في جنوبي البلاد عرضة على الدوام للتأثيرات الأجنبية. وقد أدى هذا إلى أسلوب خاص في العمل وقدرة على الابتكار والإبداع، مما جعل المفاوضين يوصفون بالأمانة والصراحة والجرأة والإقدام، وأقل جشعاً من مقاولي شانغهاي، غير أنهم تجار أذكياء، مولعون بتحقيق الثراء السريع، ويشاطرون أبناء عموماتهم من الكانتونيين في هونغ كونغ لهجتهم الفظة الغنية المعقدة، تماماً كطعامهم.

### الثمانمائة مليون صيني الآخرين :

لقد تحدثنا حتى هذا الفصل عن ثلث سكان الصين فقط - سكان الساحل، المدن الصناعية والمجتمعات الأكثر ثراءً. لكن هنالك الريف الصيني الذي لم يره غير عدد محدود جداً من الغربيين. ذلك هو الجزء من الصين الذي لم يشارك مطلقاً في الاقتصاد العالمي. ولم تول الحكومة المركزية أولئك

النفر كثير اهتمام حتى وقت قريب. إذ لم يزد نصيب هؤلاء الثمانمائة مليون شخص على (9%) فقط من ميزانية الدولة المركزية، أي نحو (42) بليون دولار أمريكي عام 2005م، أي لم يزد نصيب الفرد في تنمية الطرقات، الماء والطاقة، المدارس والمستشفيات عن (55) دولارًا أمريكيًا. أما الضرائب فقد خفضت بمعدل (19) دولارًا فقط في العام للفرد الواحد.

مع اتساع الهوة في التفاوت الاقتصادي وإظهار تقنية الاتصالات لتلك الفجوة الكبيرة بين طبقات المجتمع في البلاد، اندلعت موجة الاضطرابات في الريف. فمشاكل التنمية في هذا المجتمع الذي يمثل ثلثي سكان الصين، هائلة بحق. ولهذا فإن احتمال حدوث خلافات بين مختلف فئات المجتمع أمر مثير للربح بكل صدق. فربما كانت الفرص المتاحة للشركات الأمريكية هناك مختلفة اختلافًا جوهريًا عن تلك التي تتاح لها في الساحل الشرقي.

من جهة أخرى، تتمحور التنمية في الأقاليم الوسطى والغربية حول المدن الكبيرة كمدينة شونقنق، وهان، شانقشا، شنقدو وكومنق. وتقع مدينة شونقنق التي كانت تمثل العاصمة الصينية في أثناء الحرب العالمية الثانية، وبلغ تعداد سكانها اليوم (31) مليون نسمة، في أعلى نهر يانقتيز على بعد (1.500) ميل من شانقهاي. وقد بلغ متوسط دخل كل واحد من سكانها نحو ألف دولار في العام الماضي، مقابل (250) دولارًا فقط للفرد في ريفها المجاور. غير أن الحكومة لا تتفق كثيرًا من ذلك الدخل المرتفع في خدمة مصالح المنطقة. وبدلاً من اضطلاع الحكومة بدورها في هذا المجال، نجد أنها تركت المجال للشركات الأجنبية المتعددة الجنسيات لتمويل المشروعات التنموية. فمثلاً، أنشأت شركة (Petroleum) البريطانية مصنعًا للمنتجات الكيماوية في المنطقة بتكلفة مائتي مليون دولار أمريكي، بدأت شركة (Volvo) إنتاج سياراتها ماركة (S40) هناك، كما شيدت شركة (Yamaha) مصنعًا لإنتاج الدراجات النارية هناك

أيضاً. وما زال هناك الكثير الذي يجب عمله. لكن، بسبب ارتفاع معدل الأجور نتيجة نقص الأيدي العاملة المطلوبة في منطقة الساحل الشرقي، سوف يجذب ”السوق“ التنمية باتجاه الغرب<sup>(3)</sup>. لكن ”بأي سرعة؟“ يبقى هذا هو السؤال المطروح اليوم.

لقد بدأت الصناعات التي تتطلب عدداً كبيراً من العمال، كصناعات النسيج والسلع الإلكترونية الاستهلاكية، هجرتها صوب الغرب. ولا سيما أن مقاطعات وسط الصين مثل هيونان، هيوبي وجيانكسي ذات مساحات شاسعة بحجم فرنسا، إيطاليا وإسبانيا على التوالي. كما أن البنية التحتية آخذة في التطور هناك بخطوات حثيثة، إضافة لما تحظى به القوى العاملة من تعليم جيد. وعلى الرغم من الصعوبات الهائلة التي تواجهها الصين اليوم، إلا أن الرئيس هو (Hu) ورئيس الحكومة وين (Wen) عازمان على تحسين ظروف حياة أولئك الثمانمائة مليون نسمة من سكان الريف، الأمر الذي يبعث على التفاؤل.

يبدو أن بوصلة التركيز على تنمية المناطق الساحلية قد اتجهت الآن ناحية تطوير أطراف البلاد النائية عن المدن أو المراكز الرئيسية، مع التصميم على إنجاز المهمة بأسرع ما يمكن. أما إن كانت الصين سوف تنجح أو تفشل في هذا المجال، فالأمر يعتمد بالدرجة الأولى على كيفية تفاعل المستثمرين الأجانب مع مختلف العوامل، كإخفاض التكاليف ومعدل الأجور، بالإضافة لمدى ما تقدمه الحكومة من حوافز.



## الهوامش:

1 - ويليم فان كيمينيد (China ، Hong Kong ، Tai-) (Willem Van Kemenade) (نيويورك: دار راندوم، طبعة منتقاة، 1998م) ص 315.

2 - كينيشي أوهمي (The China Impact) (Kenichi Ohmae) (تايبيه: مجلة الكومنولث، طبعة صينية مركبة، 2002م) ص 131.

3 - ياو- هوا شين (Chinese Industries Will Move Upward) (Yao - Hwa Shen) (and Westward) "هجرة الصناعات الصينية باتجاه الداخل وناحية الغرب" مجلة الأعمال الأسبوعية (تايبيه)، غرة أغسطس 2005م، ص 92 - 93.

